مجلة دراسات دوليّة

اسم المقال: دور العراق الجديد في الاستراتيجية الامريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط
اسم الكاتب: م.م. عامر هاشم عواد
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/6819
تاريخ الاسترداد: 2026/04/17 14:10 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

دور العراق الجديد في الاستراتيجية الامريكية تجاه منطقة الشرق الاوسط

المدرس المساعد
عامر هاشم عواد(*)

المقدمة

في اجتماع للرئيس الأمريكي(ترومان) مع مجموعة من نساء الحزب الديمقراطي في الثامن من تشرين الثاني ١٩٤٩،قال الرئيس"أني لأرى انهارا وأودية ضخمة غير متطورة ...وليس من شك في أن نهري الفرات ودجلة يمكن أن يحولا من جديد إلى جنة عدن"[١].

وفي التاريخ وكما يروي المؤرخ (ديورانت) صاحب كتاب قصة الحضارة " دخل النفط التاريخ الغربي أول ما دخله كخرافة عن النيران الأبدية للآلهة :سائل اسود ينبع من باطن الأرض ويحترق في شمال العراق . وحينما استولى الاسكندر على بابل اختبر السائل الأسود لأغراض عسكرية على جسم أحد الشبان بعد أن دهنه به وأشعل فيه النار"[٢].

على مدى السنوات السابقة في القرن الماضي –وان بدرجات متفاوتة–تصاعد الاهتمام الأمريكي بالعراق بدءا من بدايات القرن الماضي لغرض الوصول لمصادره النفطية ،ومن ثم الضغط على بريطانيا لمشاركتها في الحصول على امتيازات التنقيب، أو التدخل بشتى الوسائل لما تراه خدمة لمصالح استراتيجية. ومن ذلك مثلا ما يقال عن دورها في انقلاب ١٩٦٣ خوفا من وقوع العراق ضمن المنظومة الشيوعية السوفيتية .

وإذا كان الدور الأمريكي قد ازداد خلال حرب السنوات الثماني بين العراق وإيران ،فانه انتقل عبر لحظة زمنية فاصلة بين مرحلتين مختلفتين لكنهما مكملتان واحدة للأخرى،ذلك الانتقال الزمني حدث في التاسع من نيسان ٢٠٠٣ عندما احتلت الولايات المتحدة العراق وسقطت بغداد ليدخل العراق بذلك مرحلة جديدة من تاريخه السياسي قوامها وقوعه تحت الاحتلال مع تغير في عقيدته السياسية التي لطالما أعلنت عداءها للرأسمالية ،ولينتقل العراق نحو التعددية واللامركزية.

(*) مدرس في مركز الدراسات الدولية-جامعة بغداد

[١] فيكتور بيرلو،أعمدة الاستعمار الأمريكي ،دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٥٢،ص ٦٠.
[٢] إبراهيم يعقوب، العراق آنذاك والآن، المستقبل العربي، العدد٣٢١ ، ١١ /٢٠٠٥، ص٢٥

ولأن الحديث يدور عن عراق جديد –يختلف عن السابق في الفكر والعقيدة والتوجه –فانه يقتضي أيضا التفتيش عن دور جديد لهذا العراق له علاقة بمدى ارتباط العراق بالدولة المحتلة ومدى ما سيحدث من توافق سياسي وتلاقي مصالح استراتيجية ترسمها الخطط الموضوعة في وزارة الدفاع الأمريكية، وهو دور أرادت له الولايات المتحدة أن يكون محوريا بحكم موقع العراق الاستراتيجي وثرواته التي ستوظفها الولايات المتحدة عبر اكثر من سبيل.

ومن هنا تتأتى أهمية الدراسة ،إذ أن هذا العراق سيلعب دورا محوريا أو يراد له أن يلعبه، وهو دور ينطلق أساسا من رؤية الولايات المتحدة للعراق بوصفه التجربة التي يجب أن تعمم على كل دول المنطقة العربية وبعض دول الجوار على مدى الزمن المستقبلي.

فرضية الدراسة

تقوم فرضية الدراسة على أن الدور الجديد للعراق سيشكل إما عاملاً رافداً لنجاح الاستراتيجية الأمريكية (لقرن أمريكي جديد) اذا ما نجحت الولايات المتحدة في مساعيها في العراق، وهي تجربة ستعمم بالتأكيد على الآخرين، أو أن الدور العراقي سيكون دورا كابحا لنجاح تلك الاستراتيجية بحكم إن الفشل في العراق لن يدعم التوجهات الأمريكية نحو دول المنطقة الأخرى،هذا إن لم يؤد إلى فشل برنامج المحافظين الجدد برمته، وهو ما قد يؤدي إلى تراجعهم لصالح تيارات جديدة ولأيدلوجيات جديدة.

أولا: الاهتمام الأمريكي بالعراق – نظرة تاريخية

لم يكن الاهتمام الأمريكي بالعراق هو وليد المرحلة الحالية ، وانما هو قديم قدم ظهور الاهتمام بالنفط على صعيد الولايات المتحدة وبدايات ظهور النفط في العراق ، إذ ان الولايات المتحدة أخذت تهتم بالنفط لا لقلة الكميات الموجودة في أراضيها ، وانما للتطور الصناعي الممتد والذي أخذ مديات واسعة بحيث أخذت استطلاعات المستقبل تؤكد الحاجة الأمريكية للنفط من مصادر أخرى .

وترجع البدايات الأولى لمحاولات التغلغل الأمريكي في العراق الى الامتياز النفطي الذي حصل عليه (كولبي شستر) الذي كان ممثلا لمصالح غرفة تجارة نيويورك وبعض الهيئات المالية الأمريكية في تركيا ، إذ زار عدد من الخبراء الأمريكيين ولاية الموصل في الربع الاخير من القرن التاسع عشر وأكدوا من خلال مسوحاتهم ان باطن تلك الأرض يحتوي على كميات كبيرة من النفط ، ولذلك قدمت طلبات متعددة الى الحكومة التركية للحصول على امتياز التنقيب . على ان الامتياز لم يتم العمل به بسبب الثورة التي حدثت ضد السلطان عبد الحميد وبسبب الظروف السياسية المضطربة التي أعاقت تنفيذه أثناء حكم محمد

الثاني[٣].

وعندما لاحت في الأفق النهاية القريبة للدولة العثمانية ، وإمكانية توارثها من قبل الدول الكبرى المنتصرة في الحرب العالمية الاولى ، دخلت الولايات المتحدة في صراع شديد بخصوص الحصول على الامتيازات النفطية في الشرق الأوسط وخصوصا العراق ، حيث أصرت الولايات المتحدة على اتباع سياسة الباب المفتوح بشأن استغلال منابع الطاقة ونبذ منح أية امتيازات احتكارية للشركات البريطانية والفرنسية (على اساس أن هاتين الدولتين هما من تقاسم الإرث العثماني) ، وتشير سلسلة رسائل متبادلة بين الحكومتين الأمريكية والبريطانية الى رفض الولايات المتحدة لاتفاقية سان ريمو عام ١٩٢٠ بين بريطانيا وفرنسا اللتين تقاسمتا بموجبها الامتيازات النفطية بوصفها انتهاكا لمعاهدة فرساي للسلام ولمبدأ حرية التجارة الذي دافعت عنه الولايات المتحدة بشدة . وكان من نتيجة ذلك ان كسبت الولايات المتحدة جولة مهمة في واحدة من أهم الصراعات التي دارت على النفط في العصر الحديث ، اذ حصلت الشركات الأمريكية على حصة مساوية للشركات البريطانية والفرنسية والهولندية في الامتيازات، الأمر الذي أوجد لها موطئ قدم في العراق[٤].

انصب الاهتمام الأمريكي للعراق في تلك المرحلة حول جانب واحد الا وهو الجانب الاقتصادي ، وتحديدا الجانب النفطي ، اذ وبعد أن أشارت الدراسات الى احتمالية تعرض الولايات المتحدة لنقص في النفط إنتاجا واحتياطا –وذلك قبل اكتشافه في شرق تكساس ولويزيانا وكاليفورنيا _ طرح على الكونغرس اقتراح معالجة ذلك النقص عبر تقييد تصديرالنفط الخام والسيطرة على مصادر اخرى خارجية ، وهنا فان دور الحكومة يجب أن ينصب على مساعدة الشركات الأمريكية في بلوغ هذا الهدف[٥]. وعلى اثر ذلك تشكلت مجموعة للشركات النفطية الأمريكية والمتكونة من سكوني ، تكساكو ، غالف ، اتلانتيك وشركة مكسيكيان ، حيث عقد اجتماع بين زعماء تلك الشركات مع المستشار التجاري في وزارة الخارجية الأمريكية مطلع عام ١٩٢٢ للبحث في سبل تفعيل عمل هذه الشركات . وقد تم التوصل الى اتفاق بين المجموعة الأمريكية والانغلو بيرشيان رويال دوتش في نفس العام على اساس مبدأ المشاركة الأمريكية في استثمار حقول نفط العراق والشرق الأوسط[٦].

---

[٣] ابراهيم شريف، الشرق الأوسط دراسة لاتجاهات سياسة الاستعمار حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق،دار الجمهورية، بغداد،١٩٩٥،ص٥٢

[٤] صلاح النصراوي،العراق في الاستراتيجية الأمريكية ،أي مشروع للدولة الجديدة، السياسة الدولية ،العدد١٦٢ ،اكتوبر ٢٠٠٥ ،ص٥٤

[٥] جو ستوراك ، أزمة الطاقة في الولايات المتحدة ونفط الشرق الأوسط ، دار ابن خلدون ،بيروت،١٩٧٤،ص٢٠

[٦] إبراهيم شريف ،مصدر سبق ذكره،ص٢٥

ونتيجة لعامل المساومة ، وللرغبة البريطانية في الحصول على دعم الولايات المتحدة في مؤتمر لوزان ضد تركيا ، فقد نجحت المجموعة الأمريكية من توقيع مشروع اتفاقية منحها نسبة (٢٣،٧٥%) من حصة شركة النفط التركية T.p.C ،كما حصلت الأطراف الكبرى الموقعة على ذات المشروع على نسب مقاربة لذلك وهي (شركة النفط الإنكليزية –الفارسية ، شركة شل الهولندية، شركة النفط الفرنسية)[٧].

على أن التحول المهم في مسيرة الشركات النفطية الأمريكية مع النفط العراقي هو تمكنها من احتكار إنتاج النفط في جميع أنحاء العراق بموجب امتياز تقرر انتهاؤه عند نهاية القرن العشرين[٨]. وحدث ذلك بعد ان غيرت (T.p.c) اسمها إلى IRAQ PETROLEUM CORPORATION (IPC) والتي تمكنت من السيطرة والإشراف على بقية نفط العراق في نهاية الثلاثينات بسبب شرائها امتياز شركة بريطانية _ إيطالية مشتركة كانت منافسة لها في جزء آخر من البلاد خلال الكساد عام ١٩٣٦ ،كما أسست IPC فرعا لها سمي بشركة نفط البصرة BPC والتي أخذت على عاتقها مهمة الأشراف على الجزء الجنوبي من العراق . وهذا الاستئثار بالنفط العراقي كانت له مردوداته ونتائجه في ان تهيمن الولايات المتحدة على النفط في دول الخليج العربية ، إذ وصلت نسبة أسهم الشركات الأمريكية في شركة نفط العراق الى (٢٣,٧٥%) و(١٠٠%) من أسهم شركة نفط البحرين والسعودية ، و(٥٠%) من اسهم شركة الكويت . وبهذا فان نسبة (٦٠%) من إنتاج نفط الخليج العربي قد أصبح تحت سيطرة الولايات المتحدة[٩].

وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، ورغم التطمينات التي قدمها الزعيم عبد الكريم قاسم للولايات المتحدة وبريطانيا بعدم تأميم حقول النفط ، الا ان مطالب الحكومة العراقية الجديدة بدأت باتخاذ مسارات أخرى قوامها الاستفادة من الثروة الوطنية ، ومن جانب اخر ولأنه أخذت تراود الولايات الأمريكية شكوك في تصريحات القيادة العراقية بسبب اتساع المد الشيوعي ، لذلك فقد اتجه وجود الشركات النفطية الأمريكية في العراق نحو مرحلة جديدة تمثلت بالمفاوضات بين الحكومة العراقية وشركة IPC ، إذ كانت الحكومة تهدف إلى تخلي IPC عن (٦٠%) من مجموع مناطق امتيازاتها فضلاً عن إنشاء مصافي للنفط في العراق ، وبعد مفاوضات لم تثمر تطورا استمرت قرابة ثلاث سنوات، أصدرت الحكومة العراقية قانون رقم (٨٠) والذي تضمن انتزاع (٩٩،٥%) من مناطق الامتياز التي لم تستثمرها

[٧] **رائد شهاب،اثر التواجد العسكري الأمريكي على النظام السياسي في العراق،رسالة ماجستير(غير منشورة) ، كلية العلوم السياسية ،جامعة بغداد،٢٠٠٥،ص ٤**

[٨] **جو ستوروك ،مصدر سبق ذكره،ص٢٦**

[٩] **احمد عبد الرحيم مصطفى،الولايات المتحدة والمشرق العربي،سلسلة عالم المعرفة،الكويت،١٩٧٨،ص٣٣**

هذه الشركات ولم تسمح للعراق أيضا باستثمارها وإيداعها بيد الحكومة ، وهو ذات القانون الذي عمل به بعد الإطاحة بحكومة قاسم، إلى أن توصل الطرفان إلى مسودة اتفاق في حزيران ١٩٦٥ نالت فيه الشركات النفطية نسبة أخرى مقدارها (٠،٥%) في مناطق الامتياز التي حددها القانون رقم (٨٠)[١٠]. ولذلك يعد البعض انه منذ عام ١٩٥٨ صعودا شهدت المصالح الأمريكية في العراق تراجعا ملحوظا بعد أن تصاعدت وتيرة تلك المصالح بعد الحرب العالمية الثانية[١١].

وإذا كان لوجود النفط في العراق دور مهم في التوجه الأمريكي نحوه فان ثمة عامل آخر ساعد الولايات المتحدة في إن تزيد من توجهها وفق آليات وصيغ جديدة ، اذ وبعد ثورة ١٩٥٨ ضد النظام الملكي وتاثر المرحلة السياسية فيما بعد بالافكار الشيوعية ، أخذت الولايات المتحدة تخاف من ميل العراق نحو المعسكر الشيوعي وبالتالي يصبح هذا البلد ذو الموقع الاستراتيجي والثروة النفطية الكبيرة واحدا من بؤر النفوذ السوفيتي في المنطقة ، ولذلك يشير اكثر من مصدر إلى الدور الأمريكي في انقلاب أو ثورة ١٩٦٣ والتي جاءت بالنظام البعثي ولأول مرة في العراق[١٢].

واذا كانت المصالح الأمريكية قد تعرضت لضربة واسعة بعد إعلان النظام العراقي تأميم ثروته النفطية عام ١٩٧٢ وخسارة الشركات الأمريكية لمليارات الدولارات ، فان الدور الأمريكي ازداد بشكل ملحوظ بعد الحرب العراقية الإيرانية ، إذ كان الهدف هو إيجاد قواعد عسكرية في الخليج العربي بعد أن فرضت سيطرتها على الجزء الأكبر من ثروته النفطية ، وهو المطلب الذي ظهر بسببه مبدأ كارتر الخاص بالسيطرة على هذه المنطقة وعد أي تهديد لها –سوفيتي بالأخص –يمثل تهديدا للمصالح القومية الأمريكية . ولذلك فان الولايات المتحدة عملت على إطالة أمد الحرب بهدف إضعاف الدولتين المتحاربتين من اجل احتواء التهديد الذي اخذت تمثله هاتان الدولتان بالنسبة للنظم المعتدلة في المنطقة ، ولذلك كان من مصلحة الولايات المتحدة ان تستمر تلك الحرب طالما بقيت محصورة بين العراق وايران ولم تؤثر على الإمدادات النفطية للغرب[١٣] ، ولذلك كانت تدعم كلا من الطرفين عندما تميل الكفة لصالح الطرف الآخر . فإيران هي أحد أضلاع الشكل الهندسي لفضيحة إيران غيت ، كما ان العراق حصل على الدعم السياسي

[١٠] **الكسي فاسيليف،نفط الخليج والقضية العربية،مطابع الأهرام،القاهرة، ١٩٧٩ ،ص٨٨**

[١١] **كوثر عباس الربيعي،تطور العلاقات العراقية الأمريكية للفترة من ١٩٥٤-١٩٥٨، سلسلة دراسات استراتيجية،مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، العدد٦٩، ٢٠٠٥.**

[١٢] **صلاح النصراوي ،مصدر سبق ذكره،ص٥٥**

[١٣] **اسماعيل صبري مقلد،الصراع الأمريكي السوفيتي حول الشرق الأوسط، مطبعة ذات السلاسل ،الكويت ،١٩٨٦،ص٥١٥**

والعسكري والاستخباري من الولايات المتحدة[١٤]. علاوة على تحسن العلاقات الثنائية اذ اخرج العراق من قائمة الدول الراعية للإرهاب وازيلت القيود عن الصادرات الأمريكية المتوجهة نحو العراق ووصل حجم التجارة البينية الى ما يقارب مليار دولار سنويا عدا عن التجهيزات العسكرية الأمريكية للعراق[١٥].

واذا كانت الحرب العراقية الإيرانية مثلت فرصة مهمة للولايات المتحدة للتواجد العسكري في منطقة الخليج العربي بحجة حماية إمدادات النفط ، فان دخول القوات العراقية للكويت واجتياحها مثل فرصة ذهبية لترسيخ التواجد الأمريكي في الأرض والمياه الخليجية ، اذ وتحت ذريعة الحفاظ على أمن المنطقة وإعادة التوازن والاستقرار إليها أوجدت الولايات المتحدة قواعد عسكرية لجيوشها وأسلحتها في السعودية والكويت وقطر والبحرين.

وعند تعامل الولايات المتحدة مع احتلال العراق للكويت كان هناك رأيان: رأي يرى استمرار العمليات العسكرية حتى إزالة النظام الحاكم في العراق ، ورأي آخر يرى العكس من حيث اقتصار العمليات العسكرية على إخراج القوات العراقية من الأراضي الكويتية حسب ما ورد في قرار مجلس الأمن الخاص بالحرب على العراق[١٦]. إلا ان الرأي الثاني لم يكن نتيجة اعتباطية أو وفق رؤية قصيرة الأمد متعلقة بفترة حرب الكويت ، وانما كان وفق تفكير مدروس وصيغة متوقعة من التفكير الاستراتيجي ، ذلك ان بقاء نظام صدام حسين كان الحجة الأولى للإدارة الأمريكية لاحتلال العراق عندما يحين الوقت المناسب لذلك ، اذ ان التوجهات المعلنة للنظام العراقي شكلت مدخلا مهما باتجاه تعبئة الرأي العام الأمريكي والدولي ضد النظام في العراق والذي نظر اليها او اعتبرت بمثابة تهديد للأمن الإقليمي والدولي .

ولذلك فان الرؤية الأمريكية نحو العراق أخذت منحى جديداً وخصوصا بعد أحداث ١١ أيلول وبالذات في عهد رئاسة جورج دبليو بوش مصحوبا بالمحافظين الجدد الذين بشروا حتى قبل توليهم الأمور بقرن أمريكي جديد تكون فيه السيطرة المطلقة لقوة عظمى واحدة فوق الجميع وهي الولايات المتحدة ، ولوحوا بسياسة متشددة تجاه الأنظمة التي (تدعم) الإرهاب ومنها النظام العراقي والتي ترمي الى الحلول محل سياسة الاحتواء التي تبنتها إدارة الرئيس بيل كلنتون تجاه ذلك النظام . وقد وضعت هذه الأخيرة النظام العراقي مع بن لادن ونظام طالبان على قمة الانظمة التي اخذت إدارة بوش على عاتقها تدميرها ضمن الحملة الدولية التي أطلقتها بحجة مكافحة الإرهاب .

---

[١٤] **الان غريتش،الخليج: مفاهيم لفهم حرب معلنة، ترجمة إبراهيم العريس ،الأرض للنشر ،بلا مكان، ١٩٩١،ص ١٤١.**

[١٥] **رائد شهاب ،مصدر سبق ذكره،ص٣٥**

[١٦] **صلاح النصراوي ،مصدر سبق ذكره،ص٥٥**

ومن هنا فقد اخذ التوجه الأمريكي نحو العراق منحى جديدا وغير مسبوقا قوامه التواجد العسكري المباشر على أراضيه واحتلال منابع ثروته النفطية وهو ما تأتى بعد الحملة العسكرية في آذار ٢٠٠٣ .

ثانيا : الحرب على العراق – المدخلات

في خطابه الذي أعلن فيه بدء العمليات العسكرية على العراق يوم ١٩ آذار ٢٠٠٣ ، وضع الرئيس بوش ثلاثة أهداف للحرب هي : نزع سلاح صدام حسين (الحجة : تدمير وتفكيك أسلحة الدمار الشامل التي تهدد الأمن والسلم الدوليين) ، وجعل العالم اكثر أمنا(الحجة: إسقاط نظام لطالما دعم الإرهاب وزود او احتمال ان يكون قد زود الإرهابيين بالأسلحة التقليدية وغير التقليدية إضافة الى الدعم اللوجستي والمادي) والثالث تحرير الشعب العراقي (الحجة: نشر الديمقراطية ومبادئ حقوق الإنسان) .كشفت الحقائق فيما بعد زيف الادعاءات الأمريكية وبطلان الأساس القانوني الذي شنت الحرب بناء عليه ، فأولا لم يكن العراق يملك أسلحة للدمار الشامل[١٧] لان جميع الأسلحة التي كانت بحوزته قد جرى تدميرها اثناء وبعد حرب الكويت ولم يتبق لدى العراق الا أسلحة تقليدية عفا عليها الزمن(وهنا سقطت الحجة الأولى)[١٨]. وثانياً لم يصبح العالم اكثر امنا بعد إسقاط النظام العراقي بل على العكس ازدادت التهديدات ضد المصالح الأمريكية والغربية علاوة على تحويل العراق الى منطقة (جذب) للمسلحين المعادين للمشاريع الأمريكية ،فاصبح العراق (قاعدة) لعمل تلك التنظيمات بعد ان كانت القطيعة بينه–النظام في العراق– وبينها على اشدها لاختلاف الاسس الأيديولوجية الفكرية لكلا الطرفين(وهنا سقطت الحجة الثانية). وثالثاً ان أول من انتهك الديمقراطية وحقوق الإنسان في العراق هو الجيش الأمريكي (المتحضر) ذاته،إذ أزكمت أنوف العراقيين الروائح الكريهة لفضائح سجن أبو غريب[١٩] ومجازر حديثة والاسحاقي[٢٠] وغيرها العشرات من المجازر التي راح ضحيتها مواطنون عراقيون أبرياء قتلتهم القوات الأمريكية لمجرد الشك او لان سياراتهم اقتربت قليلا من العربات الأمريكية المصفحة. ولذلك فأمريكا لم تأت بالديمقراطية ربما

---

[١٧] أشار آخر التقارير الصادرة عن اللجنة العسكرية في الكونغرس الأمريكي (صدر في منتصف أيلول ٢٠٠٦) الى خطا التقارير التي كانت تقول بامتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل وهو ما يعني ضمنيا انها تشير الى القول بان الإدارة الأمريكية و/او الأجهزة التنفيذية أرادت من وراء ذلك الاختلاق إيهام الرأي العام بخطورة النظام العراقي .

[١٨] جوزيف سيرنسيوني وآخرون، أسلحة الدمار الشامل في العراق : الأدلة والمضامين، المستقبل العربي، العدد٣٠٠، ٢٠٠٤/٢ ، ص ص ١٢٨-١٢٩.

[١٩] اصبح سجن ابو غريب(معلما) بارزا ل(الثقافة)التي تريد أميركا تعميمها كونيا، وذلك على اثر الفضيحة الأخلاقية التي قامت بها الشرطة العسكرية الأمريكية من تعذيب للسجناء العراقيين ،وقد حوكم على أثرها وادين بعض أفراد تلك القوات .حول تلك الفضيحة انظر : المجموعة المستقلة لمراجعة عمليات الاعتقال(البنتاغون) ،ماذا حصل في سجن ابو غريب بالعراق،المستقبل العربي ، العدد١٠،٣٠٨/٢٠٠٤ ، ص ص٦٥-٧٨

[٢٠] قامت مجموعة من القوات الأمريكية بقتل ما يزيد على عشرين مدنيا عراقيا أكثرهم من النساء والأطفال في بلدة حديثة التابعة لمحافظة الانبارغرب العراق بعد مقتل جندي أمريكي بانفجار عبوة ناسفة قام على اثرها الجنود وسط حالة من الهستريا بتصفية كل من كان في البيت القريب من مكان الانفجار.

باستثناء العملية السياسة التي وان جاءت وفق لعبة الديمقراطية الأمريكية إلا إنها لم تأت بحكومات قادرة على حل مشاكل العراقيين ، وأيضا لم تحترم هي نفسها –القوات الأمريكية–حقوق الإنسان[٢١] (وهنا سقطت الحجة الثالثة).

على ان إدارة بوش وان أعلنت ان تلك الحجج هي الدوافع وراء الحرب ،إلا ان حقيقة الأمر ان دوافع الاحتلال تتلخص بثلاثة دوافع أساسية:الدافع الاقتصادي متمثلا بالنفط وتوابعه ،والدافع الأمني / الاستراتيجي المتمثل بالموقع العراقي وعلاقته بالاستراتيجية الأمريكية وكذلك الدافع الديني الذي رسخ المحافظون الجدد أهميته في عقل الرئيس بوش والذي يستند على أساس وجود نصوص توراتية تبرز أهمية العراق. وعليه سنناقش هذه الدوافع باختصار .

١ – الدافع الاقتصادي:

ويعد هذا من ابرز ما دفع الولايات المتحدة لاحتلال العراق، البلد الذي يرقد على خزين هائل من النفط ، والذي من المقدر له حسب خبراء النفط الاحتفاظ بالبرميل الأخير في العالم تحت أراضيه بعد ما يتجاوز المائة عام بعد ان تنضب النفوط العالمية .

للمعادلة وجهان يصبان في رافد واحد ، بلد يمتلك ثروة نفطية هائلة ،واخر شره في استهلاك النفط . إذن على أمريكا ان تحوز على نفط العراق (لتصحح المعادلة) وفق النظرة الأمريكية .

تقدر نسبة الاحتياطات النفطية العراقية الثابتة ب١١٢,٥ مليار برميل ، وهو ما يعادل ١٢% من مجمل الاحتياطي العالمي[٢٢]، في حين يرى بعض الخبراء ان العراق لو استطاع التنقيب عن النفط لاصبح يملك ضعف احتياطاته الحالية ، اذ توقفت اعمال التنقيب بدءا من عام ١٩٨٠ ، ولم يستطع العراق استئناف التنقيب بعد تلك الفترة بسبب الحربين ضد إيران والولايات المتحدة، وكذلك الحصار الدولي الذي فرض عليه .أضف الى ذلك ميزة مهمة وهي ان كلفة إنتاج النفط العراقي متدنية كثيرا بالقياس لغيره مثل النفط الأمريكي او نفط بحر الشمال ، فكلفة إنتاج برميل النفط العراقي في العراق تتراوح بين (٠،٧ –١)

---

[٢١] **للاطلاع على تفاصيل أوسع لانتهاكات حقوق الانسان في العراق عقب الاحتلال الامريكي انظر: شبكة رصد حقوق الانسان في العراق والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية ، المستقبل العربي، العدد٣٢٨ ، ٢٠٠٦/٦ ،ص ص١٥٣-١٥٦ . وايضا: انتهاكات حقوق الإنسان في العراق، المستقبل العربي، العدد٣٢٠ ، ٢٠٠٥/١٠**

[٢٢] **ويأتي بعد السعودية ٢٦١,٨ مليار برميل،وقبل الامارات٩٧,٨ مليار برميل والكويت ٩٦,٥ مليار وإيران ٨٩,٧ مليار وفنزويلا ٧٧,٨ مليار برميل . انظر: مغاوري شلبي ،اوبك ومستقبل أمن الطاقة ، السياسة الدولية، العدد١٦٤ ،أبريل ٢٠٠٦ ، ص٧١**

دولار ، بينما تصل في بحر قزوين الى ما بين (٧-٨) دولار ، وفي الولايات المتحدة تصل لاكثر من ١٠ دولار[٢٣].

وفي الجانب المقابل ، بدأ إنتاج الولايات المتحدة للنفط بالانخفاض بالشكل الذي بات يهدد اقتصادها وقوتها على السواء ، فبعد ان كانت تنتج عام ١٩٥٠ نحو ٥٢%من الإنتاج العالمي، تراجع في السنوات القليلة الماضية الى ١٠%فقط ، صاحب ذلك ارتفاع شديد في معدل الاستهلاك النفطي، اذ تستورد الولايات المتحدة ما يقرب من ٦٠% من احتياجاتها النفطية ،كما أنها تستهلك لوحدها ما نسبته ٢٦% من الاستهلاك العالمي للنفط ،بالمقارنة مع اليابان ٧%،الصين ٦%،المانيا٣,٦% ،روسيا٣,٣% والمملكة المتحدة٢,٢%[٢٤]. هذا فضلاً عن ان عمر الاحتياطي النفطي الأمريكي قصير ، إذ من المقدر انه سينضب بعد ربع قرن ، وبالتالي فان الدولة التي تستهلك(١/٧) من الإنتاج العالمي، لا بد وان تبحث عن مصادر طاقة تؤمن حاجتها المتزايدة للنفط في ظل فشل معظم منابع البحث عن طاقة بديلة للنفط لتحل أزمة القوى الغربية التي تشعر أنها رهينة لموارد النفط الموجود في مناطق(مناوئة) للسياسات الغربية والأمريكية .

وهنا فان احتلال العراق من قبل الولايات المتحدة سيحقق اكثر من هدف، فمن جانب سيؤمن للولايات المتحدة مصدراً نفطياً هائلاً ورخيصاً، اذ يذهب النفط العراقي للسوق الأمريكية ، ويذهب معظم الدخل النفطي للشركات الأمريكية التي حظيت بعقود إعادة الاعمار ، وبحساب بسيط اذا كان سعر برميل النفط خمسين دولارا امريكيا فان قيمة النفط العراقي ستصل الى ما يقارب ٦ تريليون دولار ومعظمها من المفترض ان يذهب الى رصيد الشركات الأمريكية[٢٥].

ومن جهة ثانية فان احتلال العراق سيجعل الولايات المتحدة لاعبا رئيسا في تحديد أسعار النفط من خلال تعزيز قدراتها في ممارسة الضغوط على الدول الكبرى المنتجة للنفط في منظمة الاوبك ،فهي تتحكم في إنتاج النفط العراقي وبالتالي تستطيع ان ترفعه متى ما دعت الحاجة الى ذلك او ان تخفضه متى ما

---

[٢٣] الأرقام نقلا عن: سمير صارم، الأبعاد النفطية في الحرب الأمريكية على العراق، دار الفكر، دمشق ،٢٠٠٣ ،ص١٥٣

[٢٤] خليل العناني ، اللوبي النفطي الأمريكي ..النفوذ واليات التأثير ، السياسة الدولية، العدد١٦٤ ،أبريل ٢٠٠٦ ،ص٤٥

[٢٥] لابد من الإشارة الى ان رموز صناعة القرار حاليا في الإدارة الأمريكية هم من ذوي العلاقة مع شركات النفط العملاقة في الولايات المتحدة ،فالرئيس بوش هو رجل نفطي عمل في مجال التنقيب عن النفط في ولاية تكساس ،وديك تشيني نائب الرئيس ترأس شركة هاليبرتون للطاقة حتى عام ٢٠٠٠ ،اما كوندااليزا رايس فعملت كعضو مجلس إدارة في شركة(شيفرون تكساس) ،في حين تولى دونالد رامسفيلد منصب نائب رئيس شركة ويسترن النفطية وشريك الرئيس بوش في شركة (انرون) العلاقة صاحبة الفضيحة المعروفة . لمزيد من التفاصيل انظر: خليل العناني ، مصدر سبق ذكره ، ص ص٤٤-٤٧

ارادت.علاوة على انها ستساوم به الدول الأخرى المنافسة لها وخصوصا الصين التي تشير كل الدراسات الى تصاعد احتياجاتها النفطية في ظل ارتفاع معدل النمو بما يتراوح بين ٨-١٠% ،وهنا فان الصين التي يرتفع استهلاكها السنوي للنفط بمعدل ١,٥-٢% ستكون بحاجة الى مصادر نفطية جديدة لسد الاحتياجات ،ولذلك نجد ان الصين التجأت الى السعودية لإبرام اتفاقيات تجارية معها ترتكز على استيراد النفط[٢٦].

وتبعا لذلك فان السيطرة على النفط مسالة بالغة الأهمية للتراكم العالمي كمصدر للطاقة وكوسيلة للتحكم في المنافسين الدوليين كقيمة مضافة للتداولات محملة بالعلم على السلعة الأولية[٢٧]. وهنا سيظهر شرطان أساسيان لا بد ان يتباينا حتى يفيا بأهداف الاحتلال الأمريكي للعراق ،الأول على الصعيد العالمي سيكون المنتصر (مع افتراض ان الولايات المتحدة ستتمكن من السيطرة على آبار النفط لفترة قادمة من الوقت)في وضع تنافسي افضل في مواجهة شركائها في العالم الغربي.وثانيا ان التوزيع القائم للمصادر بين المنطقة المنتجة للنفط والقطاع النفطي المتعدد الجنسيات سيتحول لصالح الأخير ، ومن شان هذه النقطة الأخيرة ان تمثل تراجعا لتدويل / توزيع عوائد النفط في الدول الآسيوية العربية[٢٨].

ومن جانب ثالث تحقق لإسرائيل الحصول على مصدر جديد ومهم ،اذ اصبح لها وبعد الاحتلال حظ وفير من النفط العراقي –وهو ما شكل بمثابة جائزة لها عن مواقفها خلال الحرب ضد العراق . وهنا تحدث اكثر من مصدر عن إعادة افتتاح خط الأنابيب العراقي الذي يبدأ من كركوك ويصدر النفط عبر حيفا والذي اغلق منذ عقود طويلة، وبذلك فان الهدف الاستراتيجي والذي لطالما تحدثت عنه إسرائيل سيتحقق وهو ضرورة استفادة إسرائيل من الثروة النفطية العربية سواء عبر الحصول على نفط رخيص ووافر ، او عبر تقاسمها مع العرب لهذه الثروة بالاستناد الى تفوقها العسكري والتكنولوجي .ولذلك كله تعمل الولايات المتحدة جاهدة لزيادة إنتاج النفط العراقي لتكسب مصادر دخل اكثر ، إضافة الى تزويد من ترغب من حلفائها به ولكن وفق الشروط الأمريكية وهنا سيتحول الى عامل ضغط استراتيجي.

٢- الدافع الاستراتيجي /الأمني

[٢٦] **تعد الصين ثاني اكبر دولة آسيوية وثالث اكبر دولة في العالم من حيث استهلاك النفط بعد الولايات المتحدة واليابان، وتشير التوقعات الى ان الصين ستصبح اكبر مستهلك للنفط في آسيا بحلول عام ٢٠١٥ بكميات ستصل الى ٤٠٠ مليون طن ، مما يعني تحولها الى الاستيراد بكميات ما بين ٢٠٠ و٣٠٠ مليون طن من النفط سنويا. للمزيد من التفاصيل انظر: خديجة عرفة ،الصين وامن الطاقة رؤية مستقبلية، السياسة الدولية ، العدد١٦٤ ،أبريل ٢٠٠٦ ،ص ص ٥٦ –٥٧**

[٢٧] **إبراهيم يعقوب ،مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦**

[٢٨] **نفس المصدر السابق ، ص ٢٧**

منذ ان اعلن الرئيس جيمي كارتر مبدأه الشهير بخصوص منطقة الخليج العربي والذي عد أي تهديد لها هو تهديد للمصالح القومية الأمريكية، ومنذ ان أنشأت الولايات المتحدة لهذا الغرض قوات التدخل السريع ،وهي تعمل لنشر قواتها العسكرية على أراضي الدول الخليجية العربية ، وساعدت عدة حوادث دولية على ارتفاع العدد الإجمالي لانتشار تلك القوات بدءا من الحرب العراقية الإيرانية مرورا بحرب الكويت ١٩٩١ وصولا الى تداعيات الحملة الأمريكية العالمية ضد ما تسميه الإرهاب . ولان القوات الأمريكية انتشرت في جميع دول الخليج باستثناء واحدة ،كان لزاما على الولايات المتحدة ان تجد الفرصة لاستكمال انتشار قواتها في الدولة الأخيرة وهي العراق فكان ان خاضت حرب الاحتلال التي ادت نتائجها الى انتشار قوة أمريكية ذات ثقل متقدم في شمال الخليج العربي وذلك للمرة الأولى على الإطلاق في تاريخ المنطقة.

وبعيدا عن الحجج التي بررت بها الولايات المتحدة حربها على العراق والتي كان من أبرزها الحجة الأمنية من حيث ان النظام الحاكم في العراق يهدد الولايات المتحدة ومصالحها ومصالح ابرز حلفائها في المنطقة عبر سياساته "غير المضمونة" او عبر تحالفه مع القاعدة او حتى عبر تقديم الدعم للحركات الثورية المناهضة لأمريكا وإسرائيل،فان الحقيقة ان للعراق أهمية استراتيجية كبيرة بالنسبة للولايات المتحدة وهذه الأهمية هي التي دعتها لشن الحرب عليه واحتلاله.

بعد ان وصل الرئيس بوش الى السلطة في ٢٠٠١ وجاء بإدارة جديدة الى البيت الأبيض ،وضع في قمتها قادة المحافظين الجدد الذين دعوا الى تبني مشروعهم ل(القرن الأمريكي الجديد) والذي يقوم على ان الولايات المتحدة يجب ان تهيمن على العالم لانها القوة العظمى الوحيدة ولا مانع من لجوئها الى استخدام كافة الوسائل للوصول لهذا المشروع وابرزها الوسيلة العسكرية، والابتعاد عن (دبلوماسية التفاوض)التي أفادت أعداء الولايات المتحدة اكثر مما أضعفتهم.ولذلك نص المشروع في إحدى نقاطه على ان " نقطة الارتكاز في العهد الأمريكي الجديد هي منطقة الشرق الأوسط والخليج ،ومع ان الولايات المتحدة كانت تسعى منذ حقب عديدة للسيطرة العسكرية الكاملة على الخليج فان ذلك لا بد ان يتحقق على الفور سواء كان نظام صدام حسين موجودا في السلطة او ازيح منها . ان الأمن الإقليمي لهذه المنطقة يعطي المشروعية لإزاحة النظام الحاكم في العراق ،لكن تحقيق وجود عسكري كثيف مسيطر على الخليج سيتعدى مسالة نظام صدام حسين"[٢٩]. ولذلك كانت مسالة اختيار العراق هدفا آخر للمشروع الأمريكي في الحرب ضد (الإرهاب) بعد أفغانستان خاضعة لحسابات دقيقة ومستندة الى أسباب عديدة ذكرها وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد في محضر مجلس الامن القومي في اجتماع يوم ١٤ أيلول ٢٠٠١ وابرز ما

[٢٩] **محمد حسنين هيكل ، الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق ،دار الشروق ، القاهرة ،٢٠٠٤ ، ص٣٣٣**

ذكره ان العراق يقع في قلب المنطقة الحيوية للمصالح الأمريكية، وهو من موقعه في هذه المنطقة يهدد أصدقاء تقليديين للولايات المتحدة[٣٠].

فعلاوة على موقعه في شمال الخليج العربي ، فانه يجاور أيضا إيران وسوريا. وهنا فقد دقت الولايات المتحدة باحتلالها العراق إسفينا بين هاتين الدولتين المعاديتين للولايات المتحدة ، وستقلل مستقبلا من احتمالات التعاون المشترك او التنسيق المتبادل عبر تشكيل جبهات ضاغطة على الولايات المتحدة .

علاوة على ذلك فان العراق كان الحلقة المفقودة في سلسلة الانتشار العسكري الأمريكي في المنطقة ،فالقوات الأمريكية منتشرة على طول الجبهة الأوربية وصولا الى تركيا وامتدادا الى آسيا الوسطى وأفغانستان[٣١]، ومن ثم جنوبا نحو دول الخليج العربي علاوة على علاقاتها العسكرية مع الأردن ومصر،وهنا فان احتلالها للعراق مثل استكمالا لسلسلة التواجد الأمريكي في المنطقة.

وأيضا، أهمية استراتيجية أخرى تكمن في ان إسقاط النظام العراقي خدم امن ومصلحة الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة (إسرائيل) بشكل او بآخر،إذ أقام نظاما جديدا في العراق يؤمن بالأمر الواقع وبان إسرائيل (دولة) قائمة في المنطقة وبالتالي لها حق الوجود، كما يؤمن هذا النظام بمبدأ العلاقات السلمية مع كل دول المنطقة بعيدا عن سياسات العنف التي اتبعها النظام السابق.

ولذلك يرى الباحثون الاستراتيجيون ان أمن إسرائيل تدعّم بعد تدمير أمريكا للقدرات العسكرية العراقية وإنهاء أي قدرة لديه لتهديدها بعد تفكيك الجيش العراقي وتدمير جميع أسلحته علاوة على تغيير العقيدة القتالية للجيش العراقي الجديد والتي تركز على حماية العراق فقط دون ان تلزم نفسها باي دور قومي عربي خارجي[٣٢].

بناء على ما تقدم ،هناك اكثر من دافع أمني /استراتيجي وراء احتلال الولايات المتحدة للعراق تتلخص في أن الاحتلال مهد لتواجد القوات الأمريكية لاول مرة في شمال الخليج العربي(العراق)وبالتالي شكلت طوقا حول الوطن العربي شرقا وغربا شمالا وجنوبا وهو ما ينطوي على تقييده وربطه بالاستراتيجية الأمريكية علاوة على استباق أي تهديد قد يهدد حليفه الرئيس في المنطقة (إسرائيل).

---

[٣٠] نفس المصدر السابق ، ص ٣٤٥

[٣١] مثّل احتلال أفغانستان هدفا استراتيجيا واستكمالا لحلقات مفقودة في التواجد العسكري الأمريكي . لتفصيل اكثر حول أهمية هذه المنطقة الاستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة انظر: عامر هاشم ،التنافس الدولي على منطقة قلب أوراسيا ومستقبل التوازن الدولي ، رسالة ماجستير(غير منشورة) ، كلية العلوم السياسية ،جامعة النهرين ،٢٠٠٠ ،وحول المصالح الاستراتيجية المتحققة للولايات المتحدة من احتلال أفغانستان انظر: عبد الحي يحيى زلوم ، امبراطورية الشر الجديدة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،٢٠٠٣ ، ص٤٢٢

[٣٢] ورد ذلك في اكثر من تصريح لقادة كبار في الجيش العراقي الجديد وهو ما مؤداه ان دور الجيش الان لحماية العراق فقط .

٣- الدافع الديني :

الرئيس الأمريكي جورج بوش وفي حربه على (الإرهاب) لا يتحرك إلا بـ(أمر من الله) كما صرح هو بذاته في يوم من الأيام ،كما وأدلى بوش بنص حديث الى صحيفة محلية في اوستن عاصمة ولاية تكساس حين كان مرشحا للرئاسة قال فيه " اريد منح السياسة الأمريكية رؤية مستوحاة من التوراة ، فأنني احمل رسالة سماوية"[٣٣]. ولذلك فإذا كانت الحرب على الإرهاب قد أتت بدافع ديني ، فالحرب على العراق كجزء من حرب الولايات المتحدة ضد الإرهاب هي أيضا بدافع ديني . كيف لا وهي جزء من (الحرب الصليبية)التي دعا لها بوش ضد الإسلام الفاشي[٣٤].

إذا، فالحرب ضد العراق جاءت (بأمر من الله) كما يدعي بوش ، وهنا أعدت مجلة نيوزويك الأمريكية الشهيرة في عددها الصادر في ١٠ آذار ٢٠٠٣ تقريرا عن الاعتقادات الدينية التي تدفع الرئيس بوش إلى سلوكه السياسي العسكري تجاه العراق وكيف انه يركب موجته الأصولية البروتستانتية الصاعدة وهو أحد أبنائها ليقود أمريكا في اتجاه يغلب عليه الحماس الديني ، وهو هنا وكما يرى المقربون منه حصل بعد هجمات ١١ أيلول على رسالة في الحياة ، أن الاعتداء على أمريكا يستوجب معه الرد بأمر الهي واختيار رباني[٣٥].

على ان دراسة البعد الديني في احتلال العراق ، لابد وان تبدأ من دراسة العقيدة الدينية للرئيس بوش نفسه ، فبوش تتلمذ على يد اشهر قديسين أثنين في الولايات المتحدة أحدهما جيري فوليل رئيس منظمة المائدة المستديرة الدينية التي تأسست في أيلول ١٩٨٩ والذي صرح عقب احتلال العراق بأنه لم يبق أمام استكمال المشروع الديني التوراتي بعد احتلال القدس وبغداد إلا مكة[٣٦]. والشخص الآخر هو القس (بيلي غراهام) وهو ابرز وجوه اليمين المسيحي الصهيوني في الولايات المتحدة وقال عنه بوش " انه الرجل الذي قادني الى الرب"[٣٧]. وبوش يعده الأمريكيون من الرؤساء المتدينين ، ويقول انه يبدأ حياته كل يوم بقراءة في الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) كما انه يفرض على كبار موظفي البيت الأبيض والمستشارين

---

[٣٣] **مجلة البيان ، لندن ، العدد٢٠٢،يوليو ٢٠٠٤ ،ص ٩٢**

[٣٤] **تراجع الرئيس بوش عن تصريحه هذا أثناء زيارة قام بها الى المركز الإسلامي في واشنطن وقال ان المقصود هو الحرب ضد الجماعات المتطرفة التي تنتسب للإسلام . قناة الجزيرة الفضائية ، برنامج(من واشنطن) ،٢٠٠٦/٩/٢٥ . والحقيقة ان هذا التراجع لا ينفي ابدا اللهجة العدائية للرئيس بوش ضد الإسلام،اذ يصف الإسلام في احد خطاباته بعد ذلك بانه (معتقد فاشي).**

[٣٥] **محمود عزو الحمدو ، الخلفية الدينية للقرار السياسي الأمريكي، مجلة الفرات ،مركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية، كربلاء ،العدد الرابع،٢٠٠٦ ، ص٨٢**

[٣٦] **اريك لوران ،حرب آل بوش ،دار الخيال ، الكويت ،٢٠٠٣ ،ص١٣**

[٣٧] **محمد الشنقيطي ،بوش طغيان الحماس الديني على البصيرة السياسية ، موقع الجزيرة نت ، ١١ / ٢٠٠٤/٣**

الاستماع الى موعظة دينية يقدمها احد القساوسة تعقبها صلاة ودعاء، ثم يتوجه الجميع الى مكاتبهم[٣٨]. كما ان الرئيس بوش متأثر بكتابه المفضل للقس اوزالد ستامبرز الذي مات في مصر عام ١٩١٧ وهو يعظ الجنود البريطانيين والأستراليين هناك بالزحف الى القدس وانتزاعها من المسلمين ، ولذلك لا جرم ان الأساطير اليهودية الصهيونية هي التي روجت لضرورة تدمير القوة العراقية مبكرا ، حين يجد اليهود في التلمود ان خراب دولتهم الثانية سيكون على أيدي جند أولي باس شديد يخرجون من ارض بابل كما خرج نبوخذ نصر الذي خرب دولتهم قبل آلاف السنين وسباهم رجالا ونساءا أسرى وعبيدا .

ولذلك فالعراق يقع في قلب الاهتمام الديني الإسرائيلي، كما انه جغرافيا —او أجزاء منه — من ضمن حدود دولة إسرائيل المزعوم ذكرها في التوراة والمراد لها ان تمتد من النيل غربا الى الفرات شرقا، ومن جبال الأرز شمالا في لبنان وحتى نخيل خيبر جنوبا في السعودية . ولا غرابة إذا عندما أعلنت الأنباء عن قيام العديد من الجنود الأمريكان ذوي الديانة اليهودية بالصلاة في (ناحية الكفل) في وسط العراق بعد احتلاله اعتقادا منهم بقداسة تلك الأرض في الديانة اليهودية.كما ان من ابرز النتائج الدينية لاحتلال العراق هو عودة اليهود المهاجرين إليه واعادة فتح الكنيس اليهودي الموجود وسط بغداد، وكذلك شراء الأراضي والعقارات في أرقى المناطق البغدادية[٣٩] علاوة على تصاعد النشاط الإسرائيلي في العراق، كما نشرت صحيفة معاريف الإسرائيلية ان ممثل الوكالة اليهودية (جيف كي) قد قام بزيارة رسمية الى العراق استمرت خمسة أيام، وهو أول شخصية إسرائيلية رسمية يزور العراق بعد الاحتلال، والذي اجتمع بدوره مع اليهود الذين يسكنون في بغداد وعددهم يصل الى ٣٤ شخصا ومعظمهم من المسنين، وقام بتزويدهم بالمال، كما قاموا بمرافقته الى الكنيس اليهودي في بغداد[٤٠].

وهنا فان الدافع الديني تبدو ملامحه واضحة في احتلال العراق ،سواء بدعوة بوش الى ان حربا صليبية جديدة يجب ان يقودها ضد الإسلام الفاشي او الإرهاب المهدد للولايات المتحدة ، او عبر ادعاءات التيار الصهيوني المسيحي المتزعم لأفكار وسياسات الإدارة الأمريكية والذي يتحرك بدوافع توراتية تزعم ان العراق هو الخطر الذي يهدد بقاء دولة إسرائيل ، وان بزواله سوف تزداد فرص إقامة دولة إسرائيل الكبرى الموعودة .

ثالثا : الدور الجديد لعراق ما بعد ٩ نيسان ٢٠٠٣

[٣٨] **محمود عزو الحمدو ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٣**
[٣٩] **صحيفة الجزيرة السعودية، ٢٠٠٣/٦/٢٤ .**
[٤٠] **صحيفة القدس العربي اللندنية ، ٢٠٠٣/٦/٣١**

عنى الاحتلال الأمريكي للعراق ان سياسة الولايات المتحدة في المنطقة قد تحولت من السياسة التقليدية التي قامت على الحفاظ على الثبات (STATICO) الإقليمي الى سياسة تدخل نشط تعمل على إعادة بناء المنطقة وتنظيمها من جديد. وهذا التحول يعبر عن ثورة راديكالية في السياسة الخارجية الأمريكية تكمن مصادرها العميقة في انتهاز أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ من قبل شبكة نافذة من المحافظين الجدد المتأثرين بنفوذ مصالح الجناح اليميني الإسرائيلي كي تطبق جدول أعمالها الذي استغرق إعداده سنوات طويلة.

ويشكل الشرق الأوسط الكبير حقل اختبار المشروع الأمريكي الجديد بقدر ما يشكل قلبه المتمثل بالوطن العربي قاعدة الانطلاق ضد الخطر الجديد الذي يمثل حسب الإدارة الأمريكية خطرا أسوأ من التهديد السوفيتي القديم على hshs ان (الإرهابيين الإسلاميين) لا يمكن ردعهم ، ومن هنا فانه ما لم يتم توجيه ضربة استباقية لهم فانهم سيتمكنون من الضرب في عمق الأرض الأمريكية.

ومن هنا تعاملت الولايات المتحدة في موضوع احتلالها للعراق بwt,هـ ساحة عمليات تستطيع من خلالها ان تقوم باستعراض عسكري يضع العالم بأكمله أمام ما يراه حقيقة متمثلة في ان على العالم ان dkiي صفحة الحرب العالمية الثانية وبالتالي طي تركتها، وانما اعتبرت على العالم ان يصبح أحاديا فيه(فيتو) واحد لدولة واحدة هي الولايات المتحدة وسيستتبع ذلك أمرا في غاية الأهمية يتمثل بتغيير كل نمط التفكير العالمي، إذ أرادت الولايات المتحدة إيصال رسالة للآخرين مؤداها :من غير المسموح لاي كان في العالم ان يستخدم القوة في الإطار العالمي ما عدا دولة وحيدة هي الولايات المتحدة .ولذلك لم يكن اختيار العراق اعتباطا،فالأخير غدا بعد السنوات العجاف محروق الأرض ومكشوف الأجواء ولا شئ فيه مخفي عن أحد ،وكل المعلومات الاستخبارية باتت معروفة عبر لجان التفتيش وبالتالي لا مفاجآت بالنسبة الى الأمريكيين على مسرح العمليات . وأمريكا رأت ان صياغة العالم وقواه العظمى لا بد ان تخضع للنتائج المترتبة على هذا العمل العسكري الأكثر تمايزا والأكثر حسما[٤١].

خاضت الولايات المتحدة الحرب وربحتها عسكريا بعد ثلاثة أسابيع وهنا أوصلت الرسالة للآخرين واحتفل المحافظون الجدد بان مشروع القرن الأمريكي الجديد بدا يتعزز باحتلال العراق بعد أفغانستان. ولكن فات هؤلاء مسالة بغاية الأهمية هي ان النجاح لا يسمى نجاحا إذا لم تتهيا له مقومات الاستمرار والديمومة ،فالنجاح العسكري في تدمير القوات العسكرية العراقية وإسقاط النظام السياسي ،تبعه فشل

[٤١] عماد فوزي شعيبي ، الصورة النمطية للعالم والنظام العالمي في الاستراتيجية الأمريكية الجديدة وموقع العراق كساحة عمليات فيها،ضمن كتاب: احتلال العراق وتداعياته عربيا وإقليميا ودوليا ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٤ ،ص ١١٧

ذريع في مسك الأرض والقضاء على حركات المقاومة التي أخذت تنشط يوما بعد آخر والتي ستؤدي إفرازاتها الى إعادة تقويم المشروع الأمريكي بأكمله ومن هنا ينطلق البحث في الدور الذي يمكن ان يؤديه العراق ،إذ ان نجاح الولايات المتحدة في الاستمرار بخططها الخاصة بالعراق وتحويله الى (عنصر مشع) يلقي بإشعاعاته إلى المحيط المجاور عندها يمكن ان نتحدث عن دور إيجابي للعراق الجديد في الاستراتيجية الأمريكية. إما العكس وهو فشل الولايات المتحدة في جعل العراق ديمقراطيا-آمنا-مرفها، فان ذلك يستلزم العكس وهو الكلام عن دور سلبي للعراق الجديد في الاستراتيجية الأمريكية ،فالأمر لا يحتمل اللون الرمادي ، فإما ابيضا في رؤية العين الأمريكية ، وعندها ستعمم التجربة العراقية على باقي بلدان الجوار ، وآما اسودا وعندها سيكون مشروع العراق الجديد عائقا أمام المشروع الأمريكي في المنطقة لان الشعوب لن تنظر عندها إلا بنظرات الشك الى الوعود الأمريكية .

وعليه سيكون السؤال المحوري هو أي دور يمكن ان يكون للعراق ما بعد ٩ نيسان ٢٠٠٣ ؟

بدءاً، لا بد من ان نستعرض واقع العراق اليوم بعد مضي ما يقارب الاربع سنوات على بدء الاحتلال ، وما الذي أفضت اليه التجربة الأمريكية في العراق ، وعند التوصل للنتائج سيكون بالإمكان ترجيح أي دور للعراق سيكون في المستقبل .

لقد أثبتت نتائج القرارات التي اتخذتها الإدارة الأمريكية او الإدارة المعينة أمريكيا في العراق ، أثبتت خطا تلك القرارات بشان معالجة الأوضاع في العراق بعد الاحتلال ، وتمخض عن تلك النتائج أسئلة عديدة تدور حول ما إذا فشلت الولايات المتحدة في العراق ، وما هي معايير ذلك الفشل ودلالاته ، وما هي سبل معالجته[٤٢]؟

فعلى الصعيد الأمني لا يزال العراق غارقاً في مستنقع العنف وخصوصا العنف الطائفي الذي أدى الى قتل عشرات الالاف وتهجير ربع مليون مواطن الى وقت كتابة البحث[٤٣]، مما أدى لتشكيل (فرق الموت) التي تمارس عملها ضد المدنيين العراقيين . وضاعف من سوء الوضع الأمني فشل القوات العراقية في أداء الواجبات المنوطة بها[٤٤] إما بسبب ضعف التدريب وعدم كفاءته ، او بسبب ضعف الولاء للوطن وارتباط

[٤٢] وليام بولك ، نحو سياسة خارجية أمريكية ناجحة ،المستقبل العربي ، العدد ٣٢٠، ٢٠٠٥/١٠ ، ص ٢٧

[٤٣] أشار تقرير للأمم المتحدة صادر في ٢٧ أيلول ٢٠٠٦ الى ان اكثر من ربع مليون عراقي تم تهجيرهم من مناطق سكناهم لدوافع طائفية .

[٤٤] جيفري ميللر، الفجوة في الاستراتيجية الأمنية الأمريكية، المستقبل العربي ، العدد ٣١٥ ،٢٠٠٥/٥ ،ص ص ٧٩-٨٤

تلك القوات بالجهات السياسية التي تتبع لها وهو ما اعترفت به الإدارة الأمريكية مؤخرا . علاوة على اختراق مجموعات المقاومة للجيش العراقي رغم كل الجهود الأمريكية لإعداد جيش بعقيدة جديدة[٤٥].

هذا بالإضافة الى ان الجيش الأمريكي فشل تماما في جلب الأمن للداخل العراقي ، وفشلت جميع الخطط الأمنية التي قام بها لكبح عمليات القتل اليومي ، وهذا ربما يعود في أحد جوانبه الى أخطاء التخطيط العسكري الأمريكي من جهة ، ومن جهة ثانية الى تطور عمليات المقاومة المسلحة كما ونوعا ، فقد كشفت صلابة تلك المقاومة عن مدى الخطا الذي وقعت فيه الإدارة الأمريكية حين تصورت ان جنودها خرجوا في "نزهة عسكرية "، لكنها سرعان ما تحولت الى (كابوس) تحت وطأة المواجهات العنيفة مع فصائل المقاومة العراقية والجماعات التي تسعى لهزيمة الولايات المتحدة في أي مكان يحط فيه جنودها[٤٦]. كتب مراسل مجلة نيوزويك يقول " حتى المنطقة الخضراء في بغداد ، وهي مجمع للولايات المتحدة بمساحة أربعة أميال مربعة محاطة بجدران تفجير وأسلاك شائكة تتعرض لهجوم يومي تقريبا من قبل المسلحين وقذائف الهاون ، حتى بالمفجرين الانتحاريين "[٤٧].

وفي ذات الوضع الأمني ،كانت خسائر الجنود الأمريكان تزداد يوما بعد آخر ،وقد كتب المعلق الصحفي كريستان كاريل في مقال حول قتلى الجنود الأمريكان لغاية ٧ تشرين الأول ٢٠٠٣ يقول " كان الأسبوع الماضي الأكثر قتلا في العراق منذ إعلان انتهاء الأعمال القتالية الرئيسة : فقد قتل ٣٢ جنديا مما يجعل المجموع الكلي للقتلى الأمريكيين في العراق ٣٨٨ ، تأثيرات ذلك شعر بها الأمريكيون في مختلف أنحاء البلاد "[٤٨]. ولا اعرف ماذا يكتب اليوم كاريل وقد وصل عدد القتلى (المعلن فقط) الى ٧ أضعاف ذلك العدد تقريبا ، وما هو حجم الأثر الذي يتركه في الداخل الأمريكي حول تلك الضحايا .

وعلى صعيد الوضع السياسي ، فقد أخفقت الولايات المتحدة في فهم الواقع السياسي العراقي بتركيبته المذهبية والطائفية ، مما انعكس لاحقا على معظم قراراتها هناك ، ولذلك ولأنها ارتبكت في العلاج ، فقد اختارت اللجوء الى استراتيجية المحاصصة الطائفية كخيار وحيد لإقامة التوازنات السياسية في العراق

---

[٤٥] **رود نورلاند وباياك ديغانشبة ومايكل هيرتش، جهنم هي الثمن ،مجلة نيوزويك (الطبعة العربية) ، ٩ نوفمبر ٢٠٠٤ ، ص ٢٨**

[٤٦] **حول المقاومة العراقية وأساليبها والآثار التي تركتها على الحملة الأمريكية انظر مثلا: كارل كونتيا، الدائرة الشريرة : ديناميات الاحتلال والمقاومة في العراق، المستقبل العربي ، العدد ٣١٧ ، ٢٠٠٥/٧ ،ص ص ١٢٤-١٤٤ .وايضا :ضيا ميان ، القوات الأمريكية تتفكك (تقرير مترجم) ، المستقبل العربي ، العدد ٣٢٠ ، ٢٠٠٥/١٠ ،ص ص ١٢٤-١٢٩ . وايضا : نصير محمد ، المقاومة العراقية: الواقع والمشاهد المستقبلية ،المستقبل العربي ، العدد ٣١٥ ، ٢٠٠٥/٥ ،ص ص ٣٨-٥٢**

[٤٧] **رود نورلاند وباياك ديغانشبة ومايكل هيرتش ،مصدر سبق ذكره ،ص ٣٢**

[٤٨] **كريستيان كاريل ،مع فرقة الاشباح ، مجلة نيوزويك (الطبعة العربية) ، ١٨ نوفمبر ٢٠٠٣ ، ص ص ٨-١١**

الجديد وهو ما ادى لإفرازات سلبية يعيشها المجتمع العراقي الآن ،علاوة على ذلك منيت العملية السياسية التي خططت لها الولايات المتحدة في العراق بنكسة كبيرة عندما سيطر على مقاليد الأمور رجال الدين من السنة والشيعة فيما فشلت التيارات العلمانية فشلا ذريعا ولم يحظ هذا التيار الا بنصيب ضعيف في الحكومة والبرلمان . ناهيك عن التوترات السياسية الناجمة عن التوازنات الطائفية والتحزب الديني والمذهبي للأطراف الممثلة في الحكومة والتي يمكنها ان تتعرض للانهيار في اية لحظة اذا لم يحدث اتفاق حول احدى القضايا الرئيسة مثل تعديل الدستور او قضية كركوك التي يصر الأكراد على ضمها لإقليم كردستان[٤٩].

وعلى صعيد الوضع الاقتصادي، فبالرغم من ان مداخيل الموظفين قد ارتفعت بنسب عالية جدا عما كانت عليه في عهد النظام السابق ، الا ان ارتفاع نسبة التضخم ووصولها لمستويات قياسية[٥٠]، أدت الى سحب تلك الزيادات في الأجور وقلة استفادة المواطن من ذلك الارتفاع ، وهو ما لم يتوافق مع الوعود الأمريكية بالرخاء الاقتصادي وتوزيع حصص مالية لكل مواطن من عوائد النفط العراقي ، كما ان عمليات إعادة الإعمار تقف عند مراحلها الاولى وكأنه لم تمض اكثر من اربع سنوات على الاحتلال ، كما ان المجتمع العراقي لا يزال يعاني قصورا كبيرا في بنيته التحتية ، بما في ذلك الخدمات الأساسية كالصحة والتعليم والماء والغذاء[٥١].

وعليه ففي العراق ولحد كتابة البحث ،فشلت الولايات المتحدة في تحقيق وعودها للعراقيين بالوصول لمجتمع الرفاهية وتغليب حقوق الانسان ،فلا الرفاهية تحققت ولا حقوق الانسان احترمت. اذاً ما انعكاسات هذا الوضع على دور العراق الجديد في المشروع الأمريكي لـ(الشرق الأوسط الجديد)الذي يكون فيه العراق(الواحة الخضراء) التي يجب ان تضفي بضلالها على باقي المنطقة؟

هنا الإجابة ان واقع العراق الحالي بعد مضي اكثر من اربع سنوات على بدء الاحتلال سيجعل من دور العراق دوراكابحا للمشاريع الأمريكية تجاه المنطقة . كيف؟ أخفقت الولايات المتحدة في تحويل العراق الى نموذج للرخاء والديمقراطية قد يحتذى به في المنطقة العربية وذلك على غرار ما فعلت باليابان والمانيا قبل اكثر من نصف قرن، بل انها فشلت في إدارة الحياة اليومية للعراقيين ، بعد ان فقدت تعاطفهم وثقتهم لها وتأييدهم ايضا.

---

[٤٩] هل فشلت الولايات المتحدة في العراق ،افتتاحية مجلة السياسة الدولية، العدد ١٦٥ ،يوليو ٢٠٠٦ ،ص٦

[٥٠] شهدت أسعار المواد الغذائية ارتفاعا شديدا بمقدارعشرة أضعاف، وسعر البنزين ارتفع بمقدار سبعة أضعاف ، وسعر الغاز السائل (٤٠) ضعفا!! ناهيك عن ارتفاع أسعار مواد البناء واجور النقل وغيرها .

[٥١] بررت القوات الأمريكية بان تأخر إعادة الأعمار يعود لسوء الأوضاع الأمنية ، ولكن لنتساءل لماذا لم تتم إعادة الإعمار في محافظات الجنوب والتي يسود فيها الأمن بدرجة كبيرة، ولماذا كل المظاهرات التي خرجت في مدن السماوة وبابل والديوانية تطالب بتحسين الخدمات؟

وعلى المستوى الإقليمي، بدل ان يشكل الوجود الأمريكي ضمان لدول الخليج من التهديد المستقبلي لإيران ،فقد دفعت السياسات الأمريكية الخاطئة الى تعاظم الدور الإيراني في العراق وبدت كما لو قدمت العراق هدية مجانية لعدوه في المنطقة، ولم يدر بخلد الولايات المتحدة ان سياساتها هذه من شانها ان تفضي الى تحول إيران الى قوة إقليمية (صريحة) تسعى لملء الفراغ الاستراتيجي الذي أحدثه تدمير القوة العراقية السابقة. وقد اثار ذلك هواجس الدول الخليجية التي يمتلك اغلبها ميراثا سلبيا في العلاقة مع طهران والتخوف من احتمالات انتقال النفوذ الإيراني الى خارج حدود العراق وتداعيات ذلك على أمن الخليج ، خصوصا في ظل الإصرار الإيراني على امتلاك تكنولوجيا نووية[٥٢].

وعلى المستوى العربي لم تحقق الولايات المتحدة استفادة حقيقية من غزوها للعراق الذي رأته مقدمة لتعميم تجربة الديمقراطية في البلدان العربية ،اذ كانت النتيجة ان بعض الأنظمة العربية سمحت بقدر من الديمقراطية أوصل الإسلاميين الى الحكم ، كما ان الشعوب العربية ونتيجة لتجربة العراق ونتائجها ارتضت ان تبقى تحت حكم رؤساء الماضي بدل من تغير تصاحبه فوضى واقتتال داخلي . ولذلك لا يزال النموذج الأمريكي لإقامة ديمقراطية حقيقية في العالم العربي يعاني من صعوبات عديدة ، زاد من ذلك ما يراه المجتمع العربي من انتهاكات لحقوق الانسان في العراق على يد القوات الأمريكية او القوات المحلية التي أنشأها المحتل[٥٣].

وعلى المستوى الدولي فان المأزق الأمريكي في العراق اثر سلبا على الوضع الاستراتيجي للولايات المتحدة ومكانتها بوصفها القوة العظمى الاولى في العالم . وكان غزوها للعراق –بدون دعم أممي –لتثبت للعالم انها القوة الوحيدة القادرة على كل شئ ، ثم تورطها فيه على هذا النحو سببا لفقدان الهيبة التي سعى المحافظون الجدد لتثبيتها واقعا في ميزان العلاقات الدولية .

ان نتيجة هذا الواقع الذي لم تكن ترى الولايات المتحدة انها ستصل اليه في العراق ستنعكس اولا على المشروع الأمريكي ذاته ، وثانيا على الدور الجديد المرسوم للعراق كنقطة ارتكاز في استراتيجية الولايات المتحدة للقرن الأمريكي الجديد ، وفي هذا يقول المحلل الاستراتيجي الأمريكي مايكل هدسون ان

[٥٢] حول تأثير ذلك على امن الخليج انظر :عبد الجليل زيد المرهون ، امن الخليج والمتغير الأمريكي ، المستقبل العربي ، العدد ٣٢٨ ، ٢٠٠٦/٦ ،ص ص ١٠-٢٠

[٥٣] بسبب حالة الهستيريا التي يعاني منها الجنود الأمريكان ،اخذ هؤلاء يقتلون العراقيين بدم بارد ، ومن الحوادث في هذا الصدد ان احدى الوحدات التابعة لكتيبة الجيش الأمريكي الاولى لواء المشاة ٤١ (وحدة شارلي) عقدت مسابقة مفزعة لرؤية من الذي سيحقق اول عملية قتل مؤكدة اثناء الدورة الثانية للوحدة في العراق. والنتيجة كانت انه في ١٨ آب ٢٠٠٤ أوقفت تلك الوحدة شاحنة عراقية في مدينة الصدر وانزلت سائقها الاعزل وقتلته بدم بارد، وتنازع بعدها الجنود في أي منهم حاز على (شرف) قتله. انظر: باباك ديغانشبه، سلسلة من عمليات القتل التي تستحق التساؤل ، مجلة نيوزويك (الطبعة العربية) ، ٢١ ديسمبر ٢٠٠٤ ، ص ص ٢٨ –٢٩

فشل مشروع امريكا في العراق سيؤثر على وجود المحافظين الجدد ذاته وعلى دورهم في اقل تقدير اذ ان نفوذهم حاليا في حالة تبخر مقابل انتعاش مؤسسة (الواقعيين التقليديين) والحزب الديمقراطي ، ولذلك فتأثير العامل العراقي سينعكس على الداخل الأمريكي والذي سيكون له العامل الفصل في نجاح مشروع المحافظين الجدد واستمراره من عدمه[٥٤].

على ان لهذه الفرضية ، اتجاها اخر مناقضا ومعاكسا يتجه نحو ان العراق الجديد على العكس سيكون له دور ايجابي على صعيد الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة والعالم اجمع، اذ يراد منه ان يكون نقطة بدء وتجربة تعمم في الشرق الأوسط بهدف تحويل مجتمعاته (ديمقراطيا)على المستوى السياسي و(ليبراليا)على المستوى الاقتصادي . لماذا وكيف؟

الإجابة على لماذا تتأتى من ان امريكا لم تأت الى العراق ليومين او حتى تنهزم او حتى تستسلم وتسلم الراية للآخرين- نعم ان المقاومة المسلحة كبدت امريكا الخسائر الفادحة وأخرت مشروعها لوقت اجل، ولكن هل تستطيع المقاومة آن تستمر وفق ذات الحركة والنسق لفترات أخرى بعيدة؟ بوش وفي مختلف أحاديثه يصف المهمة في العراق بانها لم تنته[٥٥]، كما ذكر في كلمته التي القاها امام اعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ١٩ايلول ٢٠٠٦ "نقول للشعب العراقي اننا لن نتركك ولن نتخلى عنكم في بناء أمة حرة.." ، نعم ان الباحث ومن منطلق العقيدة والولاء يتمنى ان تنسحب الولايات المتحدة من العراق ، ولكن الواقع شئ والتمنيات شئ مختلف.كما ان الإجابة على(لماذا) تستدعي هنا تحليل ماذا تريد الولايات المتحدة ان يكون للعراق من دور ؟ او بعبارة اخرى ما هو الدور الذي يمكن للعراق الجديد ان يؤديه في الاستراتيجية الأمريكية ؟ الاجابة تكمن في عدة محاور وتبدأ في ان الاحتلال الأمريكي للعراق هو بالأساس يعد تطبيقا لاستراتيجية الامن القومي التي تبنتها إدارة الرئيس بوش في أيلول ٢٠٠٢ ، ولا سيما مبدأ الضربات الوقائية[٥٦] بحيث يمكن القول ان العراق كان ساحة الاختبار المهمة لهذه الاستراتيجية الجديدة ، فإدارة بوش تسعى الى استغلال احتلالها للعراق في تحقيق اهداف تتجاوز السياق العراقي الضيق. وهنا فان احتلال الولايات المتحدة للعراق سيحقق لها اهدافا تتداخل معها وفق العملية معقدة

[٥٤] مايكل هدسون ،سياسات السلام الامريكي في العراق، ضمن كتاب : احتلال العراق وتداعياته عربيا واقليميا ودوليا ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٨٠-٨١

[٥٥] انظر على سبيل المثال خطابه عن حالة الاتحاد ، افتتاحية مجلة المستقبل العربي ، العدد ٣٠٠ ،٢٠٠٤/٢ ، ص ص ٦-١١

[٥٦] حول تلك الاستراتيجية وتطبيقاتها انظر:نصير عاروري ،حروب جورج دبليو بوش الوقائية، المستقبل العربي ، العدد ٢٩٧ ، ٢٠٠٣/١١ ،ص ص٨-٣٥

الملامح المرسومة لدور العراق الجديد . ومن هنا تتأتى الإجابة على الشق الثاني من السؤال (كيف ؟) كيف هو الدور الذي سيؤديه العراق؟

اذا ما اتفقنا على ان احتلال العراق واحتفاظ الولايات المتحدة بوجود عسكري فيه سيحقق اهدافا سياسية وعسكرية واقتصادية ، فاننا يجب ان نعلم ان العراق سيكون له دور محوري في تحقيق تلك الأهداف .

سياسيا : يقوم جوهر الرؤية الاستراتيجية الأمريكية على ان تغيير نظام الحكم في العراق يمثل مجرد خطوة اولى لاعادة ترتيب الأوضاع في الشرق الأوسط استنادا الى رؤية مؤداها ان احتلال العراق واقامة نظام حكم ديمقراطي(علماني) فيه سيكون مقدمة للتغيير الشامل في العالم العربي ككل وفق نظرية الدومينو بحيث ان التغيير في العراق سيكون دافعا للتغيير في باقي دول المنطقة . وهنا "ركز اعضاء الإدارة الأمريكية على فكرة ان اقامة نظام حكم ديمقراطي في العراق سوف يخلق أثرا (استعراضيا) او (استلهاميا) على مواطني الدول الاخرى في المنطقة،وسوف يكون العراق في هذه الحالة- وهنا يأتي دور العراق- بمثابة نموذج يحتذى به في العالم العربي ، ناهيك عن ان الإطاحة بنظام حكم صدام حسين والاحتلال الأمريكي للعراق سوف يكون درسا لكل الأنظمة العربية والشرق اوسطية التي تهدد مصالح الولايات المتحدة"[٥٧].

عسكريا ،يقوم التخطيط الاستراتيجي الأمريكي على تحويل العراق الى قاعدة إقليمية محورية للوجود العسكري الأمريكي في المنطقة حيث تركز الولايات المتحدة على ربط عراق ما بعد التاسع من نيسان ٢٠٠٣ بالاستراتيجية العسكرية الأمريكية في الشرق الأوسط ،اذ بدات وزارة الدفاع الأمريكية في الاستفادة من البيئة الاستراتيجية الجديدة التي نشأت بعد احتلال العراق من اجل اجراء مراجعة واسعة للوجود العسكري الأمريكي في مختلف ارجاء المنطقة، وهنا فان الولايات المتحدة تنطلق من ضرورة الاستفادة من الموقع الاستراتيجي المهم للعراق والذي يمثل نقطة التقاء استراتيجية بين مناطق الخليج وشمال غرب آسيا واسيا الوسطى والشرق الأوسط ، فضلاً عن التغلب على نقطة ضعف أساسية كانت تعاني منها الولايات المتحدة ،وهي ان العراق كان يمثل نقطة فراغ ضمن حزام القواعد العسكرية الأمريكية المنتشرة في الخليج واسيا الوسطى وجنوب آسيا. ومن هنا فان الولايات المتحدة تخطط لجعل العراق ركيزة أساسية لوجودها العسكري ليس فقط في منطقة الخليج وانما في مجمل منطقة الشرق الأوسط وفي منطقة المربع الاستراتيجي التي يقع العراق في القلب منها والتي تضم الخليج وشمال غرب آسيا واسيا الوسطى والشرق الأوسط[٥٨].

وعليه فسيكون دور العراق بمثابة مرتكز لقواعد أمريكية ثابتة وعلى المدى الطويل وبالتالي قاعدة مهمة للانطلاق الأمريكي نحو تحقيق أهدافها في المناطق الاخرى. وبمعنى اخر ان العراق سوف يشكل موطئ قدم رئيس

---

[٥٧] احمد ابراهيم محمود ، العراق الجديد في الاستراتيجية الأمريكية للشرق الأوسط، ملف السياسة الدولية ، العدد ١٥٤، ٢٠٠٣/١٠/١ ،ص ١

[٥٨] نفس المصدر السابق ، ص

للولايات المتحدة في قلب المربع الاستراتيجي وسيحقق ذلك لها اهدافا متنوعة أبرزها محاصرة سوريا وايران بحيث ان الوجود العسكري الأمريكي في العراق سوف يترك اثارا واضحة عبر الحدود السورية ،كما ان التزاوج بين الوجود الأمريكي في أفغانستان والعراق سيجعل إيران بين فكي كماشة وسيجعلها محاطة بشبكة محكمة من القواعد العسكرية الأمريكية من ناحيتي الجنوب والغرب .

كما أن الدور العراقي الجديد سيمثل (الحاضنة)لمجموعة من القواعد الأمريكية —والتي يدور الكلام عن أربعة: قاعدة في مطار بغداد في الوسط، وقاعدة الطليل الجوية بالقرب من الناصرية في الجنوب،وقاعدة جوية يطلق عليها اسم (H1) في منطقة الرطبة في الغرب، وقاعدة باشور في الشمال[٥٩]– وهو ما سيعني ارتباط العراق ولاول مرة في تاريخه بنوع من التحالف العسكري مع الولايات المتحدة بعد ان ظل العراق بعيدا عن الأحلاف الأمريكية .

وهنا ايضا سيكون دور العراق الجديد بمثابة البديل المحتمل للقواعد الأمريكية المنتشرة في منطقة الخليج ،اذ اعلنت الولايات المتحدة عزمها على تبني سياسة جديدة تجاه منطقة الخليج تقوم على إعادة تقييم علاقاتها وروابطها الاستراتيجية مع دول المنطقة وتغيير مناطق الوجود العسكري الأمريكي عبر إعطاء ثقل اكبر للوجود العسكري الأمريكي في العراق، وهو ما قد يعني التقليل والى حد كبير من وجود القوات الأمريكية في السعودية وعمان والكويت وحتى قطر مع الإبقاء بالتأكيد على مقر القيادة المركزية في السيلية ، وهذا الامر مرتبط في الحقيقة بمدى نجاح الولايات المتحدة في تنفيذ خططها في العراق.

واقتصاديا،ركزت إدارة جورج بوش على ان احتلال العراق سيحقق عددا من المكاسب الاقتصادية للولايات المتحدة ولاسيما السيطرة على النفط العراقي، اذ سيحقق ذلك لها سيطرة على ثاني اكبر الاحتياطات العالمية،وسوف يكون في استطاعتها ان تتحكم في تدفق هذا الاحتياطي ويمكنها بالتالي من ان تتحكم في اسعار النفط في السوق العالمية طالما تستطيع التأثير بدرجة كبيرة على مستويات العرض والطلب. أضف لذلك ان وجودها العسكري في العراق يمكن ان يعيد ترتيب حصص الشركات المنتجة للنفط في العراق وهو ما سيعني سحب امتياز الشركات الروسية والصينية العاملة في العراق ومنحها لشركات أمريكية.

وفي الجانب الاخر عولت الولايات المتحدة كثيرا على الاستفادة من عملية اعادة إعمار العراق لصالح تنشيط اقتصادها المتراجع،وتعاملت مع هذه المسالة بوصفها غنيمة حرب يحق لها فقط ومن عاونها في الاحتلال الاستئثار بها. وقد حصلت بالفعل ست شركات أمريكية كبرى على عقود من وزارة الدفاع الأمريكية للقيام بعمليات إعادة الإعمار في العراق ، أبرزها هاليبرتون وشيفرون وبكتيل وكارلايل وكيلوج براون اند رايت. وترتبط

[٥٩] كان الرئيس العراقي الحالي جلال الطالباني قد طالب الولايات المتحدة أثناء زيارته لها لترأس وفد العراق الى اجتماعات الجمعية العامة للمم المتحدة ٢٠ أيلول ٢٠٠٦ ببقاء القوات الأمريكية لفترة طويلة في العراق وكذلك الاحتفاظ بقاعدتين للقوات الأمريكية فيه. قناة الحرة الفضائية / ٢١ ايلول ٢٠٠٦

هذه الشركات ارتباطا وثيقا بكبار مسؤولي الإدارة الأمريكية بمن فيهم الرئيس بوش نفسه حين كانوا في معظمهم من المشتغلين في تجارة النفط.

وهنا فان دور العراق سيتراوح بين كونه أداة ضغط بيد الولايات المتحدة نحو الدول المنتجة الأخرى ومنظمة الاوبك وأيضا نحو الدول المستهلكة للنفط.علاوة على التعويل على دور النمو العراقي في تنشيط الاقتصاد الأمريكي من خلال عمليات إعادة الإعمار.

ولكن هذا الدور الذي تحدثنا عنه(الدور الجديد للعراق الجديد) سيبقى مرتبطا ومرهونا بمدى التقدم الأمريكي في العراق، ومدى نجاح الولايات المتحدة في إعادة الأمن المنشود وتحقيق الرفاهية الاقتصادية للعراقيين ، وكسب ود الشعب العراقي ورضاه من خلال الإيفاء بالوعود التي قطعتها الإدارة الأمريكية على نفسها،والا فان المشروع الأمريكي سيفشل فشلا ذريعا في العراق، وقد يلحق الفشل في المناطق الأخرى المجاورة. والرأي الصحيح هو ان بقاء الأوضاع كما هي عليه الان في العراق المحتل سيشكل عقبة كأداء أمام المشروع الأمريكي ،وسيتحول دور العراق الجديد من دور إيجابي لخدمة الاستراتيجية الأمريكية الى دور سلبي كابح للمشروع الأمريكي ،وقد يكون السبب في انهاء حلم المحافظين الجديد بالوصول لـ(القرن الأمريكي الجديد) القائم على الهيمنة الأمريكية المنفردة على العالم المصحوبة بالتبعية والانقياد من قبل الآخرين للرغبات الأمريكية ،وتحقيق الأهداف الكونية عبر القوة كوسيلة لتحقيق الهدف عوضا عن الدبلوماسية الفاشلة التي يرى فيها المحافظون الجدد انها عائق امام الهيمنة الأمريكية. ويبقى هذا او ذاك كله مرهوناً بما سيكون عليه مستقبل الوضع الأمريكي في العراق .

الخاتمة

أريد من العراق ان يكون ساحة عمليات لتطبيق حالتين من الانتقال من الزمن الماضي الى الزمن المستقبل وهما بمثابة لحظتان للانتقال : لحظة رؤية ايديولوجية تحول فيها تيار اليمين المحافظ من تيار فلسفي ايديولوجي الى فاعل سياسي بعد ان انسجمت نزعته الثورية مع نزعة تبشيرية للرئيس الأمريكي جورج بوش ، ولحظة سياسية اكتشف فيها الحزب الجمهوري في رؤية اليمين الجديد في مشروعه لقرن أمريكي جديد فرصة رسم استراتيجية بديلة تطوي صفحة ما بعد الحرب العالمية الثانية لتحاول ان تشكل النظام العالمي الجديد بطريقتها، هذه الاستراتيجية التي أعلنت في ٢٠ أيلول ٢٠٠٢ جاء فيها نص صريح يقول " ان القيم الأمريكية السياسية قد باتت قيما كونية ولهذا يجب ان تنتقل الى المجتمعات والأنظمة السياسية "[٦٠].

ولان تطبيق الاستراتيجية كان بحاجة لساحة عمليات ، فقد اختير العراق ليكون هو تلك الساحة ولاكثر من سبب او حجة ، ولتحقيق اكثر من مصلحة . فالعراق بموقعه الاستراتيجي المهم وبثروته الاقتصادية

[٦٠] **عماد فوزي شعيبي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٨**

النفطية الهائلة ، يشكل مغنما مهما للولايات المتحدة ، ولان هذه الأخيرة لا تختار الا الساحات المهيأة عمليا لتقبل الصدمات فقد اختارت العراق المنهك بسبب الحصار الدولي منذ ١٩٩١ والمدمرة أسلحته بسبب قرارات مجلس الأمن بعد حرب الكويت ، فقد نجحت الولايات المتحدة في أولى الخطوات فقامت باحتلال العراق لتنتقل بذلك من الإطار النظري الى اطار التطبيق العملي لتلك الاستراتيجية الهادفة لنشر القيم الأمريكية بشكل كوني . ولذلك أريد من العراق ان يكون نقطة انطلاق نحو أهداف اخرى وفق نظرية الدومينو وبالتالي إمكانية خلق قيم جديدة بدل القيم التي أسقطت مع سقوط حجر الدومينو .

ومن هنا رسم للعراق الجديد هذا الدور الجديد ولكن هذا الدور بقي مرهونا بمدى النجاح الأمريكي في الداخل العراقي ، فان نجحت التجربة استطاعت الولايات المتحدة ان تعممها على الغير ، اما ان فشلت فان المشروع الأمريكي للمحافظين الجدد مهدد بالفشل برمته . الأوضاع الآن في العراق لا تفيد الا بفشل المشروع الأمريكي. وإذا ما أرادت الولايات المتحدة من العراق ان يؤدي دوره (الكبير والجديد) فعليها ان تقوم بكل ما يكفل تحقيق النجاح في العراق وتجاوز سياسات الفشل التي اثبتتها صور الواقع اليومي المعاش في العراق من تصاعد العنف الطائفي وتبعية البلد المحتل لدول الجوار ، واختراقه من قبل اكثر من طرف وتراجعه اقتصاديا وهي عوامل تؤخر كلها المضي في المشروع الأمريكي وتؤخر معها بروز الدور الجديد للعراق الجديد.